

مكانة القدس الدينية

د. محمد الشريدة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : يملئ للظالم حتى إذا أخذه: لم يفلته! ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وحببيه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها سوا، لا يزيغ عنها إلا هالك . صلى الله عليه وعلى أصحابه الغر الميامين الذين ابتعثهم الله لإخراج الناس من عبادة الطاغوت إلى عبادة ذي العزة والجبروت ومن جور الأديان إلى عدل الإيمان ومن ضيق الحياة وظلمة الشهوات إلى سعة الآخرة ونعيم الجنات . ورحم الله السلف الصالح - كخالد العربي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصالح الدين الكردي ومحمود الغزنوي الهندي ومحمد الفاتح التركي -الذين كان شعار كل منهم :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

والذين كانوا أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

أما بعد: فإن دين الله واحد - هو الإسلام على مدار التاريخ البشري - أم الشرائع فإنها متعددة مختلفة حسب طبيعة الزمان والمكان والأمة وطاعة الله ومعصيته... إن الرابطة الحقيقية بين الناس يجب أن تكون رابطة العقيدة ليس إلا، والصراع بين الحق وأهله والباطل وأتباعه: صراع عقدي، وإن حاول البعض - بحسن نية أو سوء طوية - أن يجعله صراعاً وطنياً أو قومياً أو اجتماعياً أو مائياً أو تجارياً أو زراعياً أو تاريخياً....

إننا معشر المسلمين - قديماً وحديثاً - في أي زمان أو مكان أو مجال: ننتسب لأنبياء كرام (عليهم الصلاة والسلام)، جاء خاتمهم مصدقاً لإخوانه السابقين، ومصححاً لتحريفات من انتسب إليهم زوراً وبهتاناً، وناسخاً لشرائعهم: بالرسالة الإسلامية الأخيرة! فنحن نعتز بحكم سليمان (عليه السلام) أكثر من اعتزازنا بحكم عمر (رضي الله عنه) فالنبي خير من الصحابي، بعد هذا التمهيد أقول :

تقع فلسطين في الشرق الأدنى غرب قارة آسيا، وتطل على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط يحدها شرقاً: سورية والأردن، وغرباً: البحر المتوسط، وشمالاً: لبنان، وجنوباً: مصر (سيناء) وخليج العقبة.

ومساحة فلسطين- من النهر إلى البحر: 27 ألف كم2 .

وتقسم فلسطين إلى ثلاثة أقسام هي:

السهل الساحلي، وهو متعرج في الشمال (رأس عكا ورأس حيفا) ومستو في الجنوب.

المنطقة الجبلية: وهي من الشمال: جبال الجليل، وجبال الكرمل، وجبال نابلس، وجبال القدس، وجبال الخليل: ومنها تبدأ هضاب صحراء النقب المتصلة بجبال سيناء .

حوض الأردن: وهو منطقة داخلية منخفضة أهم أقسامها: سهل الحولة، ومرج ابن عامر، وبحيرة طبرية، وسهل بيسان، وغور الأردن. ويجتاز أراضيها نهر الأردن الذي يخترق الحولة وطبرية ويصب

في البحر الميت .
وأهم مدن فلسطين: القدس (العاصمة) ، حيفا، ويافا، وعكا، والخليل، ونابلس، والناصرة، رام الله، وطولكرم، وجنين، وغزة، وخان يونس، وبيت لحم وأريحا.

فضائل فلسطين

١- تنوع أسمائها.....

إن كثرة أسماء شيء ما تدل على شرف المسمى، ولعاصمة فلسطين عدة أسماء أهمها: القدس، بيت المقدس، البيت المقدس، ايليا، مدينة السلام، ييوس، أو شليم، بيت الله، كورة ايليا، صهيون، بيت ايل، صلمون، مدينة داود، أورسالم، يابيشي، سلم.

٢- كثرة من أقام فيها أوزارها أو انتسب إليها أو دفن فيها.... من النبيين والصدّيقين والشهداء والسلّاطين والعلماء والصالحين على مدار التاريخ.....

إنها والحق يقال - معدن الأنبياء، ومحط أنظار الزعماء، ومهوى أفئدة الأولياء وما من شبر فيها إلا وهو مضمخ بدماء الشهداء... قال عطاء الخراساني رحمه الله: (بيت المقدس: بنته الأنبياء، وعمرته الأنبياء، وما فيه من شبر إلا سجد فيها نبي).

٣- موقعها الجغرافي (الاستراتيجي) الهام.... ومناخها (طقسها) المعتدل...

لقد اصطفى الله الشام من الأرض، واصطفى فلسطين من الشام، واصطفى القدس من فلسطين، واصطفى المسجد الأقصى من القدس، فهي خيار من خيار من خيار! وتكاد مدينتنا أن تكون مركز الكرة الأرضية، وهي تتمتع بمناخ معتدل رائع في فصول السنة كلها.

٤- فضل الرباط فيها.....

من فضل الله على المقادسة- بشكل أخص والفلسطينيين - بشكل خاص - وأهل الشام بشكل عام - ، أن الله تعالى سخر ملائكة تبسط أجنحتها على القدس وما حولها من بلاد الشام تكريماً لها ولأهلها الصابرين الصامدين المرابطين المؤمنين! فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام! » فقالوا: يا رسول الله ويم ذلك؟ قال: « تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام » وعن عبد الله بن حوالة (رضي الله عنه) قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده ».

٥- كثرة ذكرها في الكتاب والسنة.....

لعل القدس - وما حولها من أرض فلسطين والشام - أكثر الأماكن ذكراً في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة... تلميحاً وتصريحاً بشكل مباشر وغير مباشر، تارة باسم الأرض المقدسة وتارة باسم الأرض المباركة... وهذا يدل على أنها كما يقول عنها الناس اليوم: قدس الأقداس! (وان كنت لا أحيد استعمال هذا التعبير)!!

٦- دار هجرة أبي الأنبياء: إبراهيم الخليل عليه السلام..

قال تعالى ((ونجيناها ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)) سورة الأنبياء: آية 71، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ستكون هجرة بعد هجرة. فخير أهل الأرض: ألزمهم مهاجر إبراهيم »

٧- بني مسجدها الأقصى بعض الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)....

أول من بنى مسجدها: اسحق ويعقوب (عليهما السلام)، وقام بتجديده داود وسليمان (عليهما السلام)، ثم أمر بتنظيفه وبناءه: الفاروق عمر (رضي الله عنه)، ثم جدد بناءه: عبد الملك وابنه الوليد (رحمهما الله) والذي بنى مدينتنا الخالدة العظيمة: سام بن نوح (عليه السلام).

٨- مسجدها: أولى القبليتين.....

قال تعالى: ((سيقول السفهاء من الناس ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها)) سورة البقرة آية 142 . وعن البراء بن عازب (رضي الله عنهما) قال: (صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفوا نحو القبلة).

٩- مسجدها: ثاني مسجد بني في الأرض

عن أبي ذرّ الغفاري (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: « المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: « المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: « أربعون سنة » .

١٠- مسجدها: ثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها.....

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى »

١١- مسجدها: أكبر مسجد في العالم مساحة....

تزيد مساحة المسجد، المسقوف وغير المسقوف، عن 143 دونماً. فكل ما هو داخل أسوار المسجد يعتبر مسجد .

١٢- مسجدها: قلب الأرض المقدسة المباركة.....

يقول الأستاذ سيّد قطب (رحمه الله): (المسجد الأقصى المبارك هو قلب الأرض المقدسة التي أسكنها الله تعالى لبني إسرائيل ثم أخرجهم منها).

١٣- غفران ذنوب من قصد الصلاة في مسجدها....

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن سليمان بن داود لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله عز وجل ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه، ومكلاً لا ينبغي لأحد من بعده، ولا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه: إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما اثنتان فقد أعطيتهما. وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة »

١٤- جمال مسجدها

قبة الصخرة المشرفة هي أجمل مساجد الدنيا، وقد أمر عبد الملك بن مروان (رحمه الله) ببنائها عام 66هـ وفرغ من بنائها عام 72هـ.

١٥- استحباب المساهمة في إضاءة مسجدها.....

عن ميمونة - مولاة النبي صلى الله عليه وسلم - قالت: قلت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، قال: (اتنوه فصلوا فيه - وكانت البلاد إذ ذاك حرباً - فان لم تأتوه وتصلوا فيه، فابعثوا بزيت يسرج في قناديله)

١٦- استحباب التقرب إلى الله في مسجدها : بالصلاة والصيام والاعتكاف وقراءة القرآن والإحرام بالحج والعمرة منه.....

استحب بعض العلماء لمن أتى المساجد الثلاثة الكبرى: ان يختم بها القرآن الكريم، فقد كان الإمام سفيان الثوري (رحمه الله) يختم القرآن في الأقصى، واستحبوا كذلك: المجاورة فيه، وصيام النافلة فيه، والإحرام بالحج والعمرة منه: فقد أحرم جماعة من السلف الصالح من المسجد الأقصى.

١٧- مضاعفة الحسنات والسيئات في مسجدها.....

وقد ذهب إلى ذلك بعض علماء السلف الصالح (رضوان الله عليهم أجمعين).

١٨- مسجدها: أرض المحشر والمنشر.....

المحشر: موضع الحشر، يحشر الله تعالى إليه الناس يوم القيامة.
والمنشر: موضع النشور، وهو قيام الناس من قبورهم في الآخرة.
وقد ورد ذلك في حديث ميمونة رضي الله عنها الذي مر معنا آنفاً.

١٩- كشف الله تعالى مسجدها للرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم بعد رحلة الإسراء.....

فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس. فطقت أخبارهم عن آياته، وأنا أنظر إليه.

٢٠- خص الله تعالى مسجدها - من بين جميع المساجد - بان يغفر لبني إسرائيل بسجدة واحدة فيه.. قال تعالى : ((وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)) سورة البقرة آية 85.

٢١- بركتها المادية والمعنوية، العلمية والدينية، الدنيوية والأخروية.....

لقد بارك الله كل ما فيها: من ثمار وأشجار وأنهار وأمطار، وبارك حولها وفيها: بمن عاش على أرضها من أنبياء وصالحين، ومما لا شك فيه: أن الأرض لا تقدر أحداً وإنما يقدر الإنسان عمله كما قال سلمان الفارسي (رضي الله عنه).

٢٢- مضاعفة الصلاة في مسجدها.....

اختلف العلماء في ثواب الصلاة في مسجدها ... ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصلاة في الأقصى بخمسائة صلاة، ورجح العلامة الألباني: أنها بمائتين وخمسين صلاة، فعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسائة صلاة».

٢٣- كثرة المصنفات عنها.....

القدس أكثر مدينة كتب عنها العلماء قديماً وحديثاً في مختلف المجالات الدينية والتاريخية والأدبية والاجتماعية والجغرافية والصحية والعمرانية والإستراتيجية.

٢٤- الأرض التي سأل كريم الله موسى (عليه السلام) أن يقترب منها.....

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فسأل الله أن يدينيه من الأرض المقدسة رمية بحجر.....» وفعلاً، دفن موسى (عليه السلام) بالقرب منها.

٢٥- فيها حائط البراق بجوار المسجد.....

فعن أنس ابن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أتيت البراق.. فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين.....».

٢٦- أكثر بلد تجلى فيها التسامح الديني بين المسلمين وأهل الكتاب منذ أن فتحها الفاروق عمر (رضي الله عنه) إلى أن حدثت نكبة عام 1967م...

فقد رفض فاتحها عمر الصلاة في كنيستها حينما حان وقت الصلاة يوم تسلّم مفاتيحها من البطريك (صفرونيوس): لئلا يتخذها المسلمون مصلى ! ولا زالت مفاتيح كنيسة القيامة بيد عائلتين مسلمتين مقدسيتين، هما آل جودة الذين يحتفظون بالمفاتيح وآل نسيبة الذين يقومون بفتحها وإغلاقها!

٢٧- موطن الإسراء والمعراج.....

قال تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) سورة الإسراء آية 1 .

٢٨- فيها صلى سيد المرسلين وخاتمهم (صلى الله عليه وعلى إخوانه النبيين جميعاً وسلم تسليماً كثيراً)، إماماً بالأنبياء في رحلة الإسراء.....

فقد جمع الله تعالى لرسولنا (عليه الصلاة والسلام) جميع الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) فأتمهم في محلّتهم ودارهم لما حانت الصلاة، ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى الحرم المكي الشريف...

وهذا يدل على أنه - صلى الله عليه وسلم - الوريث الوحيد لمقدّسات إخوانه الأنبياء من قبله!

٢٩- البلدة التي حبس الله تعالى الشمس ليوشع بن نون (عليه السلام) حتى يتمكن من دخولها قبل مغيب شمس الجمعة ودخول السبت في أرجح الروايات

٢٠- محل الرحمة: حيث فدى الله تعالى فيها الذبيح إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) بكبش عظيم جزاء استسلامه لأمر الله وصبره على قدر الله وطاعته لأبيه خليل الرحمن.....
وقد ذهب كعب الأبحار وابن عمر: إلى أن قصة الذبيح كانت على صخرة بيت المقدس. قال تعالى: (وفديناه بذبح عظيم) . سورة الصافات آية 107.

٣١- البلدة التي لا يدوم فيها الظلم أكثر من قرن من الزمان على أبعد تقدير.....

فقد سلط الله تعالى على بني إسرائيل نبوخذ نصر (بخت نصر): فقتل منهم وحرق وسبى وخرّب بيت المقدس.. وخرج أرميا - وقيل العيزر (عليهما السلام) - إلى مصر فأقام بها، ثم أمره الله تعالى بالعودة إليها، فلما أشرف على خرابها قال:

أنى يحيي الله هذه بعد موتها؟! قال تعالى: (أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماه الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) سورة البقرة آية 259.

وقد احتلها الصليبيون تسعون سنة - تقريباً - منذ عام 492هـ إلى عام 583هـ، وحرّرها البطل الغازي الناصر لدين الله: صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله).

٣٢- منها رفع السيد يسوع المسيح (عليه السلام) بروحه وجسده حياً إلى السماء: في أرجح الروايات.....

قال تعالى: (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا) سورة آل عمران آية 55

٣٣- البلدة الوحيدة في العالم التي ستتكلّم حجارتهما مع المؤمنين المجاهدين قبيل قيام الساعة.....

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله».

٢٤- تقبل الله تعالى فيها نذر امرأة عمران (عليهما السلام): إن يكون ما في بطنها سادنا للمسجد.....

قال تعالى: ((إذ قالت امرأة عمران رب إنني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم)) سورة آل عمران آية 25

٢٥- أكرم الله تعالى مريم العذراء (عليها السلام) في محراب مسجدها بفاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس.....

قال تعالى: ((كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)) سورة آل عمران آية 37

٢٦- بشرت الملائكة فيها نبي الله زكريا (عليه السلام) بميلاد ابنه يحيى (عليه السلام) بالرغم من هرمه وعقم زوجته.....

قال تعالى: ((فنادثه الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى)) سورة آل عمران آية 39

٢٧- كرم الله تعالى فيها مريم البتول (عليها السلام) بالنخلة حين جاءها المخاض الى جذع النخلة
قال تعالى: ((وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)) سورة مريم آية 52

٢٨- تكلم نبي الله عيسى (عليه السلام) بالمهد صبياً.....

قال تعالى: ((فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال إنني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً)) سورة مريم الآيتان 29 و 30

٩٢- هدى الله عز وجل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم للفترة.....

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به بايلياء بقدهين من خمر ولبن: فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال له جبريل (عليه السلام): (الحمد لله الذي هداك للفترة، لو أخذت الخمر غوت أمتك).

٤٠- صفات الذين يحررونها كلما وقع فيها فساد عظيم: الإيمان بالله والعبودية لله والشدة على أعداء الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً!

قال تعالى: ((فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً)) سورة الإسراء آية 5-7

٤١- فيها سخر الله تعالى الريح لسليمان (عليه السلام): تهب بشدة وتجري بسرعة حيث يشاء...

قال تعالى: ((وللسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين)) سورة الأنبياء آية 81.

الخاتمة

لقد اصطفى الله عزّ وجلّ بعض الأماكن في الأرض عن غيرها، لحكم عظيمة وغايات جليلة، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد! ومن البقاع التي فضلها الله جل وعلا: عاصمة فلسطين الأبدية الموحّدة (الدرّة المغتصبة والفردوس المفقود)! وفضائلها المادية والمعنوية الدينية والدنيوية: كثيرة جداً أهمها: أنها مباركة الديار والأنهار والثمار، ومطهرة من الشرك والرجس والأقذار، وان خيرها موفور، ومسجدها معمر ، ومؤمنها منصور، وظالمها مقهور، على كر العصور.

أنها معدن الأنبياء، ومعهد الأتقياء، ومهبط ملائكة السماء، ومهوى أفئدة العلماء، وأن كل شبر منها مضمّخ بدماء الشهداء.

إن ملائكة الله الكرام بأسطة أجنحتها عليها وعلى ما حولها من بلاد الشام. كثرة من سكنها أو جاورها أو زارها أو شدّ الرحال لمسجدها أو انتسب إليها أو مات فيها أو دفن بساحاتها وبالقرب منها... من النبيين والصديقين والشهداء والسلاطين والصالحين... منذ آلاف السنين.

أنها أكثر مدينة في العالم - قديماً وحديثاً - دار حولها الصراع بين الحق وأهله وبين الباطل ورجله وخيله... فهي بحق - ملحمة النور إلى يوم النشور.

أنها أكثر مدينة في العالم كله عاشت مختلف الحضارات، وقهرت جميع الغزاة، وكتب عنها العلماء في شتى المجالات بمختلف اللغات، في كثير من المصنفات.

أنها أرض الإسراء والمعراج، وفيها المسجد الأقصى المبارك: أولى القبلتين، وثاني مسجد وضع في الأرض، وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، والصلاة فيه مضاعفة.

المؤمنون من أهلها: مرابطون، وغرباء صالحون مصلحون، ظاهرون على عدوهم وقاهرون.

إنها عقر دار الإسلام عند اشتداد المحن، وانتشار الفتن على مر الزمن.

لا يمكن أن يستمر فيها الظلم أكثر من قرن من الزمان ونهاية الكفر حتماً إلى خسران، وحوادث التاريخ أكبر برهان

والحمد لله رب العالمين